# العصرية والديموقراطية

بقلم أديب ديمتري

أثبتت أمتنا العربية في العديد من معاركها ، وفي تاريخها كله ، انها قادرة على التصدي لعدوها وهزيمته .. فيما لو مكنت منه ، ولم يحل بينها وبينه شيء .

والهزائم الكبرى في تاريخنا ، لم تصنعها شعوبنا ، بل صنعها طبقات أما عميلة خائنة ، أو فئات هزيلة ومترددة .. هزيمة ٤٨ صنعتها كما يعرف الجميع طبقات الاقطاع والرأسمالية العميلة ، وهزيمة ٦٧ لم يصنعها شعبنا في قليل او كثير ، بل فوجيء بها تماما ، وهو الذي صد آثارها ونتائجها ، وأرسى أساسا للصمود الى غير حد .

وعندما يمضي العدو في الخيلاء والصلف ، والعملاء في الجريمة بلا رادع ، يحق لشعوبنا أن تلقي بسؤالها جهارا ، ذلك الذي يؤرق نومها ، ويجثم على صدرها ، ويثقل قلبها في الصحو : من المسؤول عن الهزيمة اولا ؟ وعن استمرارها ثانيا ؟ وعن العجز والتردد في مواجهة العدو ؟

كل الاجابات التي ألقيت حتى اليوم لم تشف غليله ، وفي ذيلها وعود التغيير والتعديل والتصحيح ..

والذي يصنع العدوان ، قوى تعرفها جيدا .. ومتى اختفت الامبريالية عن أعين شعوبنا ؟!

والذي يصنع الهزيمة قوى اجتماعية اما عميلة وتابعة ، أو قوى مترددة وضعيفة لا تقوى على مواجهة العدو ، أو خوض معركة ، او التصدي لمخططاته ..

والذي يصنع القوة والنصر على العدو الامبريالي قوى اجتماعية أخرى ، عرفها عصرنا ، ويشهدها العالم كله من الصين الى كوبا الى فيتنام الى أحراش بوليفيا .. هم العمال والفلاحون والجبهات الوطنية الثورية التي يجمع بين طبقاتها الثورية الواسعة رحابة الافق ، والوعي بالمصالح الحقيقية ، ويدعم وحدتها الاتفاق من خلال الاختلاف .. والوحدة من خلال الديمقراطية .. هذه الجبهات التي صنعت انتصار الصين ، وتصنع اليوم مجد فيتنام ولاوس وغيرها .

وعندما يسعى نيكسون الى الصين صاغرا ، فقد يفجأنا الخبر، ولكننا لا ندهش ، لاننا نعرف السر ، هي هذه القوة التي قهرت أعظم امبراطوريات عصرنا ، وحركت الثورة في أحشاء الشعب الاميركي نفسه .. هي هذا الخط الصامد في مواجهة الامبريالية وحرب كل الشعب في فيتنام ، والجبهات الوطنية الديموقراطية التي تضم كل القوى الوطنية والثورية بحق ودون تمييز أو تسلط .

وفي بلادنا العربية ، يرتفع شعار يتردد كثيرا على ألسنة البعض في هذه الايام ، ويتطلب من المثقفين العرب كل انتباه واهتمام، وهو يعزو كل الكوارث التي تصيب عالمنا الى التخلف ، ويرى ان الحل الوحيد امام شعوبنا في العصرية ، وفي الاخذ بأساليب العصر العلمية والتكنولوجية.. وحتى نقطع مسافة الخلف بيننا وبين الدول المتقدمة ، ونقيم دولا عصرية ، فسنظل عند اصحاب هذا الرأي على هزيمتنا أعجز من ان نزيح العدو عن ارضنا ..

والدولة العصرية في تعريفهم هي التي تأخذ بأحدث اساليب التنظيم والادارة الحديثة ، وتنقل أحدث وسائل العلم والتكنولوجيا.. والتعليم هو أداة هذه الدولة ووسيلتها الاساسية .. حتى لتكاد تتحول قضية الثورة بكل جوانبها لتنحصر في قضية التعليم ..

وفي السياسة يردد أصحاب هذه الدعوة بطريقة أو اخرى ما مؤداه ان الحاجة الى التنظيم السياسي الفعال او الاحزاب قد انتفت في عصرنا !! وكل ما نحتاج اليه هو الاخذ بوسائل التقنية الحديثة في الاعلام ، وفي تعبئة الجماهير وتوجيهها ، عن طريق الاذاعات والتليفزيون ، وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيري الحديثة وصياغة الرأي العام .. ولو عاش لينين في عصرنا ، وكان يملك كل هذه الوسائل المستحدثة ، لما احتاج الى الحزب الذي صنع به الثورة !!

هذه الدعوة في بلاد العالم الثالث واسعة الانتشار ، ويرفع شعارها عادة فئات من المثقفين والمهنيين والتكنوقراط ورجال الادارة .. والدعوة في ذاتها طبيعية ، فلا خلاف في ان بلداننا تعاني التخلف وتتطلع بشدة الى تحقيق التقدم والعصرية ، والمجتمع العصري الذي ينتمي الى التسعينات والثمانينات ..

ولا جدال في أن هناك تبادلا في التأثير بين الاسراع في الاخذ بأساليب العصر ومنجزاته ودفع حركة الثورة في بلداننا ، فلا شك مثلا في أهمية الاسراع بنشر التعليم ومحو الامية وارتباطها بقضية الثورة في بلادنا ، ولا حاجة بنا الى أن نغرق في قضية البيضة والفرخة لنتساءل أيهما أول !!

ولو وقف الامر عند حد المطالبة بالعصرية في اطار دفع حركة الثورة ، لما احتاجت القضية الى طرح او مناقشة ، لان مطلب العصرية في ذاته لا يمكن ان يكون محل خلاف بين القوى التقدمية ولكن خطورة الشعار المطروح تأتي من المعنى الذي يعطي لهذه العصرية، والمضمون الذي تحمله .. وعلاقة الشعار بمواجهة العدو الامبريالي

الجاثم على الارض ، خاصة وان القضية لا تنفصل عن تحديد العـدو في هذه المرحلـة ، واتجاه الضربة الرئيسيـة للتخلص من التخلف وغير التخلف من اثار هـذا العـدو ..

وبتعبير اخر فهذا الشعار يكتسب أهميته من ارتباطه بصميم فهم القوى الوطنية والثوريـة للمعركة في شمولها وبتحديد قوى المواجهة، وقوى العدو ، واساليب التعامل مع الموقف كله في هذه الفترة الدقيقة والحرجة .. اما اطلاق الشعار هكذا دون مضمون اجتماعي واضح، فهو الامر الذي يستحق كل انتباه كمـا يثير اكبر الشبهات .

ويزيد من اهمية القضية نوع الفئات الاجتماعية التي تتبنى هذا الشعار وتروج لـه ،دون ان تعطيه مضمونا اجتماعيا واضحا ، وهـي فئات واسعة كما اشرنا من المثقفين والفنيين المهنيين والطبقات الجديدة الصاعـدة بوجه خاص ، وهي قوى تمارس في بلداننا اليوم نفـوذا وفاعلية وقدرة على الحركة والتحريك ، وهي تمارس السلطة الفعلية في العديد من بلدان اسيا وافريقيـا .

وهي قوى وطنية في الاغلب ، تحب اوطانها ، وتريد لها الخيـر والمصلحة، والمفروض انها تقف عموما في مراكز اليسار بحكم معاداتها للاستعمار ، ولكن واقع بلدان آسيا وافريقيا يدلنا على ان قطاعات واسعـة من هذه الفئات ممن يصح تسميتهم باليمين الوطني لانهـم يخلطـون بين العدو والصديق في المعركة الدائرة ، وقد يسقطون في وهم الصداقـة والمعونة الاميركية يقودهم اليها التعلق بالنمـوذج الاميركي وبالآمال الكاذبة ، كما يقودهم عداء لا ينتهي للماركسيـة وللاشتراكية العلميـة وللشيوعية واحزابها ، حتى ليتحول هذا العداء احيانا الى نوع من محاربة طواحين الهواء ، وانقلاب ميزان الامور تماما في افهامهم وسقوطهم في قبضة العدو الامبريالي جريا وراء هـذا العداء القاتـل .

وقد يكـون من المفيد حتى تتضح الصورة ان نلم ببعض معالـم الفكر والحركة السياسية لهذه الفئات .. التي يهدهد فكرها احـلام العصرية ، والدولة العصرية ، المتقدمة والرخية..فهي كثيرا ما تبدي نفورها من السياسة والسياسيين وتظهر العزوف عن الاشتغـال بالسياسة ، ولكنهـا في حقيقة الامر تفرق الى اذنيهـا في السياسة، خاصة اذا أصبحت السياسة بابا للنفوذ او المنصب او المغنم .

وقطاعات واسعة منها تعاني الحزبية والانقسام الحزبي ،وتقرنه بالاوضاع القديمة في بلادها ، وبالطبقات القديمة الاقطاعية والراسمالية العميلة وتناحراتها الحزبية .. لهذا تبدي عادة نفورهـا من الحزبية .. ومع ذلك ففي غياب الجبهات الوطنية الحقيقية ، وسيطرة فلسفة الحزب او التنظيم الواحد غير محدد المعالم الطبقية ، تمارس ابشع انواع الانقسام والشللية ومراكز القوة ، وهي تضفي على انقساماتها وتناحراتها كل الاسماء الا اسم الحزبية سيىء السمعة ..

وهي تمارس الانتخابات والصور الانتخابيـة افرادا وشللا دون برامج واضحة ، وترفع شعارات النزاهـة والحرية والطهـارة ، ولا يمنعها هذا من الغوص حتى اذقانها في المناورات الانتخابية والتحايل على تسويد اتجاهاتها وشللها واحزابها القائمة بالفعل والتي تسترها وتستر وجودهـا تحت كافة الاسماء !!

والاقسام الكبيرة من هذه الفئات ، وهي تقف في الوسط ،في يمين الوسط او يسار الوسط ، تعجبها دائما لعبة ضد اليمين وضد اليسار ، هذه اللعبة التي اضاعت العديد مـن الثورات فـي اسيـا وافريقيا ، وذقناها مر المذاق على يد العديد من الاحـزاب والقـوى السياسيـة عـلى اديمنـا العربي قبل وبعد عدوان ٦٧ وهـي بـلا شك غير مقطوعـة الصلة باسباب الهزيمة ، ان لـم نكـن نقف علـى رأس هذه الاسباب ، وهي التي فتحت كل الابواب لعودة السيطـرة الاستعماريـة في اغلب الاحيـان

ونستطيع ان نمضي في تشريح فكر هذه الطبقات والفئات لا نقـلا عـن اكتب النظريـة والنظريات ، بل من واقع حركتها وسلوكها وفكرها الذي تروجه ، وتملـك كل وسائل ترويجه ، وهي قـد اضاعت علـى بلادهـا بفكرهـا وحركتهـا هذه الكثير في غيبة الجبهات الوطنيـة الحقيقية ، وهي التي اعطتنا هذه الظاهرة الغريبة على صعيد عالمنـا المعاصر : الصمود الصلب والقوة التي لا تقهر التي تأتي باميركا صاغرة على جانب من هذا العالم ، والسقوط السهل ، والنظم الهشة التـي تتساقط مثل اوراق الخريف على الجانب الاخر . والامر المؤكـد ان هذا الفارق الضخم بين الاسود والابيض ، لا يعود الى اختلاف في طبيعة الشعوب ذاتها ، او في تكوينها ، الا اذا سمحنا لانفسنا بالسقوط فـي الفكـر العنصري ، والصهيوني .. الفارق بالطبع لا يكمن في طبيعـة الشعوب ، بل في طبيعة النظم القائمة وحركة الطبقات السائدة هنـا وهناك ، ومسئوليـة الساسة والقادة .

ومن هنـا فنحن نولي كل هذا الاتساع والاهتمام لفكر وحركـة الفئات المتوسطة والصغيرة ، لانها لا زالت تملك بلا جدال ، مقدرات الامور في عالمنـا العربي ، وهي التي تطفو على السطح ، وتمـارس السياسية والتوجيه والحكم في أغلب الاحيان. فليس لاحد ان يزعم ان الطبقات العاملـة والفلاحين هي التي اصبح لهـا النفوذ الحقيقي ،او توجيه السياسة حتى تتحمل مسئوليتها ، مهمـا كانت النسب التـي خصصت لها من اتكراسي ، او الاسمـاء التـي أعطيت لاطـار التحالفات الوهمية بين الطبقات .

ولان مفهوم العصرية يلخص في الحقيقة شعار فسم واسع منها، كما يعكس كل منهما الوضع السياسي والايديولوجي للموقف. الراهن، فمن المفيد ان نتتبع جذوره..كما نتتبع موقف الامبريالية من هذا الفكر وثقافة هذه الفئات في اغلب بلدان أسيا وأفريقيا ثقافة غربية، وانتماؤها الفكري ايضا في الغالب غربي ، فمن الطبيعي ان نبحث عـن الجذور عند مفكري الغرب ، ولا يعني هذا بالطبع عمالة في قتيل او كثير ، بل هـو تأثيـر عميق له اثاره ونتائجه التي يصعب تقديرهـا دون تتبـع جذورهـا .

والواقع ان الامبريالية تعي تماما اهمية المثقفين وفئات المهنيين والفنيين ونفوذهـا ومكانتها القويـة في كل بلدان اسيـا وافريقيا ، كمـا تتابع بالدراسة العلميـة حركتها واتجاهاتها ، تقديرا للـدور الحاسم لهذه الحركة في العديد من المواقف في هذه البلدان . ومـن هنا لا بد من اطلالة على جذور الفكر العصري عند المفكرين الامبرياليين انفسهـم .

## الجـذور في الغـرب

كيف يفكر الاستراتيجيون الامبرياليون ومخططو السياسة،وكيف ينظرون الى دول العالم الثالث ، ويفهمون حركة طبقاتها وفئاتها ..والى اي الفئـات يتطلعـون ؟

نأتي هنا بخلاصة لمجموعـة من ابحوث والدراسات البالغـة الاهميـة لعدد من المفكرين والاستراتيجيين الامبرياليين ولافطابهم جمعت في كتاب اعده القائمون على العلوم السياسية في اكاديمية القـوات الجوية الاميركية (١) ويكفي للتدليل على أهمية هذه الدراسـات ومثيلاتها ان نذكر بعض الاسماء التي وردت فيها : هنري كيسنجر ـ والتروستو ـ هانز مورجنتو .. صانع السياسة والمثقف (٢)

ـ التتمة على الصفحة ـ ٨٣ ـ

(1) American Defense policy : prepared by Associates in political science Unitel States Air Force Academy . The John Hopkins press M.S.A 1965

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٩

# العصرية والديمقراطيـة

تتمة المنشور على الصفحة ـ ٤ ـ

والعنوان نصاحبه ، هنري كسنجر ، وحديثه هذا عن بلاده اميركا لا عن بلادنا ، ومع ذلك فمن المهم أن نتعرف كيف يفكر مستشار رئيس الجمهورية نيكسون لشؤون الامن القومي .

يستشعر كيسنجر في دراسته ضغط الازمة في الولايات المتحدة الاميركية ، وهو يخصص دراسته لدور المثقف في اميركا في مرحلة الازمة .

وهو يوجه الاتهام الى المديرين والتكنوقراط والبيروقراطيين الاميركيين الذين يقفون على رأس المؤسسات الاميركية ويصمهم بالجمود والتحجر !! .ويرى ان المسئولية اليوم والدور للمثقف الاميركي في صنع السياسة ، لما يتصف به من القدرة على الخلق والابداع ،والخروج من حصار ضيق الافق والجمود البيروقراطي . فالبيروقراطيون في رأيه مهيأون للتنفيذ لا للتفكير والتنظير ، وبالاخص التفكير الذي يتولى مسئولية احداث التحولات الجذرية . وليست القضية أن نجعل من الفلاسفة ملوكا أو الملوك فلاسفة ، ولكن لا بد ان نجد طريقا الى اشتراك اكبر العقول في بلادنا ـ يعني بلاده ـ في صنع القرار ، والبيروقراطيون والاداريون المهيأون للتنفيذ ، لا يصنعون التحولات الاساسية ، ولا يكتشفون الطرق الجديدة . بل لا بد من مشاركة رجال الفكر مع المنفذين .

والكلام الى هنا فيه حكمة كبيرة بالطبع ، ولا غبار عليه، وليس هناك ما يمنعنا من أن نأخذ الحكمة من افواه اعدائنا .

ويتحدث كيسنجر بلسان الثورة فيقول : « في الفترات الثورية يكون الرجال العمليون عقبة وسجناء للاحداث .

وفي فترات التغيير الضخمة يولد آتروتين الخطر ، وتصطدم قيم العمل القائمة باحتياجات الابتكار . »

والولايات المتحدة في تقديره تمر بمرحلة خطيرة ،والمجتمع الذي لا يحس بحاجته الى التجديد يسير في طريق الانهيار الذي لا مناص منه . فقد تحقق للولايات المتحدة السيطرة على الطبيعة المادية ، وعلى الظروف المادية ، ولكن من السهل ان تفقد تلاؤمها الاجتماعي . وليس لنا ـ اي له ـ ان ننتظر كارثة حتى تقبل التجديد ، بل علينا ان نواجه ضرورات الخلق والابداع قبل ان يأتي ما هو اسوأ . والدور الان للمثقف المبدع الخلاق ليقوم بهذا الدور .

والكلام كما هو واضح فيه حكمة كثيرة ، ولا اعتراض لنا عليه في معظمه . ولكن الطريف اولا ان هنري كيسنجر يحمل كل هذه الحملة الشعواء على المديرين والمنظمين والمنفذين الاميركيين الذين يعتبرهم عادة اصحاب شعار العصرية في بلداننا النموذج الاعلى للتنظيم والنظام والتقدم في العالم.. ومن ثم للخلق والابداع !!

وهو يعترف ثانيا بالازمة التي تكاد تخنق بلاده ، ويتنبأ بالطوفان ان لم يتدارك الامر بطريقته بالطبع .. وهذه ايضا اميركا التي يعتبرها اصحابنا ، أصحاب الدولة العصرية النموذج الاعلى في الاستقرار والرخاء .

ولكن الاهم هو الدور الذي يعطيه كيسنجر للمثقفين في المجتمع الامريكي ، وهو يعني بالطبع المثقف من طرازه ، طراز المفامرين رعاة البقر ، ورجال العصابات الامريكية الذين لا يتورعون عن اقتراف اي جريمة في فيتنام وغير فيتنام ، وهو أحد اقطاب هذه السياسة المغامرة التي كان ولا يزال ينتهجها نيكسون .. بينما اثبت المثقفون الامريكيون انهم قوة ثورية بالفعل ، ولكن على عكس المعنى الذي يريده كيسنجر ونيكسون ، فقد وقفوا في وجه المغامرات الامريكية والسياسة المغامرة في فيتنام .. وتظاهروا ضدها ..

اما كيسنجر نفسه فيبدو انه يبحث عن قوة تسند ابتكاراته ومغامراته ، وهو يعلم جيداً ان الطبقة العاملة ، وجموع الشعب الامريكي لا تؤيد ولا تتعاطف مع مثل هذه السياسة ، ولذلك يلتفت الى المثقف الامريكي يضع فيه الامل ، وينتظر العون ..

« سياسات جديدة لدول جديدة » (٣)

وكاتب هذا البحث الذي يصمم نفس الكتاب الذي اشرنا اليه هو كيت يونج سفير امريكا في تايلاند من ٦١ ـ ٦٣ وعضو مجلس تخطيط الموارد القومية ، ومجلس الانتاج الحربي وادارة الدفاع في بلاده ومتخصص في جنوب شرق آسيا ، وبعبارة اخرى فهو من غلاة الامبرياليين الامريكيين ومخطط سياستها في جنوب شرق آسيا .

وهو لا يخفي تطلعه الى العالم الثالث يضع فيه آماله وثقته في استيعاب المثال والنموذج الامريكي وبناء بلادهم على هذا الطراز .

وهو يقول ان الصوت البارز في هذه البلدان هو مطلب العصرية ، ولكن الطريق أمامها لا يستبين .

وبعد استعراض لمشاكل العصرية ومحاولاتها يقرر أن على الدبلوماسية الامريكية ان تجد الافكار والوسائل الجديدة التي تقوي وتدعم مجموعات المهنيين النامية في بلدان العالم الثالث وفي مقدورنا على حد قوله ، ان نفعل الكثير لندعم الوجوه الجديدة في الكلاتب وخارجها ونكسب صداقتها ، وهم اولئك الذين يشاركوننا قيمنا ، ويريدون العصرية لبلادهم والتجديد دون انهيار سياسي .. ويعني بالانهيار السياسي بالطبع الثورة على وجه التحديد .

ويستطرد يقول : ان الافكار الجامدة والدغماطيقية عن التصنيع الثقيل وملكية الدولة في هذه البلدان أصبحت محل شك وتساؤل بينما ارتفعت دوافع الملكية الخاصة ، وزالت الشكوك من حولها ، وحول الاستثمارات الاجنبية وزاد الاهتمام بتنمية الصناعات الخفيفة وتنويع الزراعة والانتاج الزراعي وتحسين حياة الفرد ، ونمت اتجاهات اكثر واقعية وبراجماتية نحو مشاكل التنمية الاقتصادية وضع اهداف قريبة بدلا من الاهداف البعيدة المستحيلة، وقبول التخطيط الجزئي في بعض قطاعات الاقتصاد بدلا من التخطيط العام لكل الامة .

وعلى هذا التحدي الذي يواجهنا في صنع حكومات ديموقراطية وعصرية فعالة وقوية في العالم الثالث ، وعلى سلامتها تتوقف سلامتنا . ويضيف : يصبح السؤال بالنسبة لهذه البلدان : هل يأتي هؤلاء المهنيون الجدد الذين يحلمون مثلنا بالعصرية المستقرة أم يتغلب « ثوار الفصول الدراسية » ـ ويقصد الحركة الطلابية الثورية ، والوطنيون الغاضبون الذين يختطون طريقا عنيفا .

وكثيرا ما كان التقدم والحرية مطلبين متناقضين في رأيه، وهدفين متعارضين ، فكلما أراد الشعب تحقيق المطلب الاول بشكل أسرع كانت التضحية بالثانية اكبر ..!! هكذا يلخص الامبريالي نظريته في العصرية ، فهي تتم بالضرورة على حساب الحرية .

ويعدد هذه الوجوه الجديدة التي تبحث عن العصرية ويضع فيها امله الامريكي في اتخاذ طريق أفضل في الحكم وفي منع الانهيار اي الثورة ، هؤلاء هم في حسابه : المدنيون والضباط الذين نشأوا بعد الحرب ويولي العسكريين بمثابة خاصة ، وهم « الصفوة المدربة » و« الوطنيون الجدد » بتعبيره او « الانتلجنسيا الثورية ».

ومهما كان الاسم فهذه الجماعات المهنية هي في نظره التي

---

(٣) المرجع السابق ص ٦١
New politics in new states : kennith T . Young

تقرر مصير بلدها السياسي والطريق الذي عليها ان تتبعه والاتجاه الى المغرب او الشرق وهذه الجماعات التي بدأت تحتل هذه المراكز في التأثير وفي السياسة وفي الخدمة المدنيـــة والعسكريـــة وفي الاعمال والتعليم يمثلون من وجهة نظره طرازا جديدا من الوطنيـــة يلخص في الآتي : برجماتي وان اختلط بمسحة من المثاليـــة ، وعالمي كوزموبولتي دون فقدان للوطنية ، وهو عصري ولكنه متسامح مـــع التراث والتقاليد . هذا الجيل الجديد من المهنيين يسوده الميـــل الى العمل والى النتائج ، والعزوف عن العقائـــد والايدلوجيـــة ، والمعيار عنده هو المصلحة القومية والكفاءة العملية .

وباختصار فهذا الجيل من الوطنيين الذي يتوجه اليه كاتبنـــا الاستعماري هو جيل غربي الطراز اميركي المشرب وبرجماتي الفلسفة. ومع ذلك فهو يزعم انه جيل لا يهتم بالايدلوجية ! ! فالايدلوجية في رأيه هي الاشتراكية .

ولكنه يختم بقوله ان زائر آسيا والشرق الاوســـط يدهشـــه البحث الدائب في هذه البلدان عن ايديولوجية وثقافة ، ولكن محلية وعصريـــة ! !

« ثورة المديرين » (٤) .

والواقع أن المفكرين الامبرياليين منذ الحرب الثانيـــة ، وفي اعقابها بوجه خاص ، ومع صعود واشتداد الحركة الثورية ، بقيادة الطبقة العاملة ، وهم يبحثون عن بديل ، وعن سند جديد يتوهمونـــه في الطبقات الجديدة والوسطى الصغيرة وفئـــات المهنيين والفنيين والتكنوقراط . هؤلاء اتجهت الامبريالية الى رشوتـــهم وجذبـــهم وابعادهم عن المد الثوري سواء في بلادها او في البلدان النامية .

ولعل أشهر النظريات من هذا النوع هي نظرية المديرين التـــي بسطها جيمس بيرنهام في كتابه المعروف « ثـــورة المديرين » ومؤدى هذه النظرية اننا في فترة من التحول الاجتماعـــي ، تتميز بالتغير السريع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي وهو تحول مـــن نمط اجتماعي نسميه رأسمالية او بورجوازية الى نمـــط جديـــد نسميه « مجتمع المديرين » .

وهذا التغيير يتمثل في اندفاع هذه الطبقة ، طبقة المديريـــن الى السيطرة الاجتماعية ، والى الحكم ، وستنتج هـــذه الطبقة فـــي زحفها هذا في الشرق والغرب ، او في الاتحاد السوفيتي والبلدان الرأسمالية معا وستصبح هذه الطبقة السائدة في جميـــع هـــذه المجتمعـــات .

وشكل الدولة الذي سيحقق لهذه الطبقة السيادة والسلطة هو ملكية الدولة لوسائل الانتاج الرئيسية . فلن تكون هناك ملكية فردية مباشرة في وسائل الانتاج الرئيسية (٥) .

اما الايدلوجيات التي تعبر عن دور هذه الطبقـــات الاداريـــة ومصالحها وتطلعاتها فلم يتم تكوينها تماما ، فهي خليط من اللينينية والستالينية والفاشية والامريكية التكنوقراطية .

والواقع ان بيرنهام الذي قدم كتابه منذ سنة ١٩٤٢ يكشف عن الهدف الحقيقي لمثل هذه النظريات ، فهو يعترف منذ ذلك الـــوقت المبكر والحرب الثانية لم تنته بعد، ان الايديولوجيات الرأسمالية(٦) وشعاراتها فقد فقدت جاذبيتها وتأثيرها على الجماهير ، وهذا عـــلى حد تعبير المؤلف ليس رأيا ولا حكمـــا ذاتيا ، بل امر تدل عليه الملاحظة المنصفـــة .

وشعارات المديرين في رأيه أقرب الى الشعارات الاشتراكيـــة فبدلا من « الفرد » يصبح التركز على « الدولة » والشعب ويحـــل « العمل » محل « الذهب » وتقوم الاشتراكية او الجمعية في مكان « المشروع الخاص » ويحل التخطيط محل « الحرية » و المبـــادرة الحرة » وسيقل الكلام عن « الحقوق الطبيعية » لتأخذ مكانها معاني « الواجبات » و « النظام » (٧) .

وهو يعتبر الفاشية والنازيـــة واللينينيـــة والستالينيـــة والسياسية الجديدة الامريكية والتكنوقراطية كلها جنين ايدلوجيـــة المديريـــن .

الجذر الاقتصـــادي

هذا المفهوم للعصرية الذي يقدم دون مضمون اجتماعي محـــدد ويصرف النظر عن نظام الدولة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، يستمد جذوره من النظريات الاقتصادية الامريكية التي تحـــاول ان تزين التقدم الاقتصادي الامريـــكي ، وتخفي معـــالم الاحتكاريـــة والامبريالية ، وتطليه بطلاء التقدمية والاشتراكية احيانا . هـــذه النظريات الاقتصادية التي تسقط الايدلوجية والصراع الايدلوجي من الحساب ، وتغفل الفوارق الاساسيـــة بـــين انتظامـــين العالميين المتصارعين الرأسمالي الامبريالي والاشتراكي والتي تقع في جـــذر مفهوم العصرية واسعة الانتشار ويقدمها عادة غلاة المفكرين الامبرياليين ولعل من ابرزها واشهرها نظرية المراحل الخمس لوالت روستو (٨).

ومجمل هذه النظرية ان النمو الاقتصادي في دول العالم المختلفة المتقدمة والمتخلفة يقع في مرحلة من مراحل خمس : المجتمع التقليدي، ما قبل الانطلاق ، مرحلة الانطلاق ، النضج ، وأخيرا مرحلة الاستهلاك الجماهيري الضخم .

أما المجتمع التقليدي فهو المجتمع الذي يقوم تركيبه على اساس الانتاج المحدود ، او الوظائف الانتاجية المحدودة ، وعلى ما قبـــل نيوتن من الناحيتين العلمية والتكنولوجية .

والحقيقة الاساسية بالنسبة للمجتمع التقليدي هو وجود سقف او حد اقصى لما يمكن الوصول اليه من انتاجيـــة الفـــرد ، وهـــذه الحقيقة تنبع من عدم توافر الامكانيات التي يتيحها العلم الحـــديث والتكنولوجيا ، وعدم استخدام هذه الامكانيات بطريقة منظمة .

هذه المجتمعات تقوم على الزراعة ، وينبع من الزراعة نظامهـــا الاجتماعي الهرمي ، وتلعب الاسرة او القبيلة دورا كبيرا في هـــذا التنظيم الاجتماعي .

والمرحلة الثانية هي مرحلة ما قبل الانطلاق ، وهي مرحـــلة تحول ، لان التحول من المجتمعات التقليدية الى استخدام ثمار العلم الحديث يتطلب وقتا طويلا . وتستخدم هذه الحجة عادة من الاقتصاديين الرجعيين لتبرير البطء في التنمية الاقتصادية ، ووصم الطـــرق والاساليب الثورية في التحـــول الاجتماعي والاقتصادي بالتسرع وارجاع كل فشل الى هذا التسرع . ويتفاضى الفكر الاقتصـــادي الرجعي عما حققته البلدان الاشتراكية من معدلات مذهلة في التنمية والتقدم الاقتصادي ويقدم طريق التدرج البطيء والتخطيط الجزئي بدلا من التخطيط الشامل كما رأينا من قبـــل . ويتابع هذا الفكر الاصلاحي ويتبناه عادة دعاة العصرية في بلاد العالم الثالث .

ونعود الى وصف روستو لهذه المرحلة الثانية ، مرحلة ما قبـــل الانطلاق ، وهو يرى انها تتميز بنشاط رأس المال ، والمغامرة بحثـــا عن الربح ، والاستثمار في المواصلات والمواد الخام واتساع التجارة الداخلية والخارجية ، ولكن ذلك يجري في بطء ، ولا تزال تغلب الاساليب الانتاجية التقليدية الهابطة ، وكذلك تسود الابنية والقيم

---

(٤) The managerial Revolution James Bwrnham 1942 Pelican bookes 1945

(٥) المرجع السابق ص ٦٤

(٦) المرجع السابق ص ١٦٠

(٧) المرجع السابق ص ١٦١

(٨) تنقل تلخيص نظرية روستو عن الملخص الذي ورد بالكتاب السابق ذكره American Defence Policy P. 84

الاجتماعية التقليدية .

ومن المظاهر الحاسمة في هذه المرحلة نشوء الدولة المركزية القومية وجوهرها القومية او الوطنية في مقابل المصالح الاقليمية القائمة على الارض ، أو في مواجهة المستعمر .

ثم تأتي مرحلة الانطلاق .. وفي هذه المرحلة تم التغلب على العوائق والعقبات التي تسد طريق النمو الاقتصادي المطرد وتسود القوى التي تصنع التقدم .

ويقول انه في بريطانيا مثل الولايات المتحدة وكندا وغيرها كان الدافع للانطلاق في الاساس تكنولوجيا ، وروستو هنا يعبر عن عقلية التكنوقراط التي تسقط العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقوى الاجتماعية المحركة لهذا الانطلاق ، وتصبح التكنولوجيا وحدها هي المحرك ، وبذلك تختفي عوامل الثورة الحقيقية والحركة في المجتمع ليحل محلها العلم والتكنيك ، ومع ذلك فهو يعود ليعترف بأن وصول الرأسماليين الى السلطة في البلدان الاوروبية ، كان عاملا هاما في تحريك هذا الانطلاق ودفعه ، فهي القوة المهيأة على حد تعبيره لتحقيق عصرية الاقتصاد . في هذه المرحلة يتضاعف الاستثمار وتتسع الاعمال في الصناعة والزراعة وتطبق احدث وسائل التكنولوجيا .

بعد الانطلاق تأتي مرحلة النضج ، فالانطلاق تتلوه مرحلة من التقدم المطرد ، وتمتد التكنولوجيا الحديثة على طول جبهة النشاط الاقتصادي ، وتتحسن اساليب التقنية وتظهر صناعات جديدة وتتميز المؤسسات الاجتماعية بما يدعم اتجاهات التقدم .

وبينما تتركز الصناعة في مرحلة الانطلاق حول مجموعة ضيقة نسبيا تتسع الصناعة في مرحلة النضج وترتفع مستواها من الناحية التكنولوجية وتتعقد عملياتها وتتحول الصناعة من التركيز على الفحم والحديد والصناعات الهندسية الثقيلة في مرحلة السكك الحديدية الى مرحلة الميكنة والكيميائيات والمعدات الكهربائية .

وتطلب الامر تاريخيا حوالي الستين عاما للتحرك من بداية الانطلاق الى النضج ، وهو ما يعتمد على مقدار النشاط الرأسمالي وقدرة المجتمع على هضم التكنولوجيا الحديثة .

وفي نهاية المطاف يأتي عصر الاستهلاك الجماهيري الضخم وفيه يتحول القطاع القائد في الصناعة نحو البضائع الاستهلاكية والخدمات ، وهي مرحلة بدأت اميركا تتخطاها ، ولم تصل بعد اوروبا الغربية واليابان الى التمتع بثمارها ، والمجتمع السوفياتي مشغول بالوصول اليها تفوقه صعوبات كبيرة .

وعندما وصلت المجتمعات الى النضج في القرن العشرين حدث امران : ارتفع دخل الفرد وتحققت القدرة على الاستهلاك الذي يفوق الطعام الضروري والمأوى والملبس ، وتغير تركيب القوة العاملة بحيث زادت نسبة سكان المدن وعدد الذين يعملون في المكاتب او الوظائف التي تتطلب مهارة تكنولوجية عالية في المصانع ، وبدأت تسيطر طبقة المديرين والتكنوقراط والمهنيين الذين تحركهم الرغبة في التمتع بثمار الاقتصاد الناضج .

ومن هنا فقد استطاعت الدول الغربية أن تخصص في هذه المرحلة قدرا كبيرا للرفاهية الاجتماعية والضمان الاجتماعي ، وبذلك يصح ظهور دولة الرفاهية أحد مظاهر هذا المجتمع الذي يتحرك الى ما وراء النضج التكنولوجي .. وهنا ايضا نصل الى الامل الذي يدغدغ في الحقيقة احلام « العصريين » ، حلم دولة الرفاهية ، والسلع المعمرة والخدمات والسيارة الشعبية .

وينتقل صاحب النظرية من الدول المتقدمة ليطبقها بحذافيرها على الدول المتخلفة والنامية في آسيا وافريقيا والشرق الاوسط واميركا اللاتينية ، فظروفها في تقديره تشابه مرحلة ما قبل الانطلاق في مجتمعات القرن ١٨ - ١٩ واوائل العشرين . وهي محل تنازع في تيارين من حيث مناهج التنمية الشيوعية وغير الشيوعية ، اما المناهج الشيوعية فتخلق نوعا من العزلة التي تكلف الوطنية غاليا ، بينما يتوفر للثانية المعونة وفائض الاغذية والكساء والاستثمارات والقروض السهلة ..

. . . . . .

ومن الواضح ان هذه المراحل قد تكون تاريخا لتطور العلم والتكنولوجيا ، ولكنها بعيدة تماما عن ان تكون تطورا للبشرية او حتى للمجتمع الحديث ، فان هذا التاريخ بمعزل عن ارضيته الاجتماعية والطبقية ، يبدو تطورا مطردا وهادئا طبيعيا ، مثل نمو الكائن الحي ، او التطور البيولوجي ، بينما الحقيقة شيء آخر تماما . أن المؤرخ الاقتصادي الامبريالي يطمس تماما معالم الصراع الحاد الذي صاحب هذه التطورات وكان العلة الحقيقية فيحركتها ، الصراع بين القوى الانتاجية النامية والعلاقات الانتاجية البالية والمعرقلة ، والثورات التي حطمت علاقات الاقطاع ، ففتحت الباب لنمو الرأسمالية ، أو حطمت الرأسمال وعلاقات الانتاج الرأسمالي فحققت الشرط الضروري للقفزات الهائلة التي حققتها البلدان الاشتراكية . وهو اذ يطبق معايير التطور في البلدان الرأسمالية المتقدمة على بلدان العالم الثالث المتخلفة ، انما يحاول ان يطمس الصراع الاساسي ، والتناقض الرئيسي القائم اليوم بين الامبريالية، والبلدان المستعمرة والدول الوطنية والذي يتوقف على حله تحقيق الشروط الاولية الضرورية اللازمة لاي تقدم او تنمية حقيقية او عصرية في هذه البلدان . ان الصراع الرئيسي في عصرنا يطمس : بين الاشتراكية والرأسمالية ، بين الحركة الوطنية الثورية والاحتكارات الامبريالية ، ليحل مكانه تطور بطيء وهادىء لا يعني سوى شيء واحد تحت عنوان تحقيق « العصرية » والتقدم ، هو الابقاء على النظام الرأسمالي ، واطالة حياته ، وسحب الشعوب المتخلفة داخل هذا النمط من التقدم والتنمية الذي لن يحقق لها تقدما او عصرية ، بل هو على وجه التحديد علة تخلفها والعقبة في سبيل نموها وتنميتها وعصريتها ..

## مجتمع الوفرة

وعلى نفس المنهج والنمط من التحليل البيولوجي للتقدم والعصرية وتصوير الوفرة والرخاء على انها الثمرة الطبيعية للتقدم التكنولوجي بصرف النظر عن نوعية النظام السائد في المجتمع او الطبقات المسيطرة وتأكيد المستقبل للمثقفين على حساب الطبقة العاملة ، يسير منظر آخر هام من منظري الامبريالية هو جون كينث جالبرث في كتابيه الشهيرين « مجتمع الوفرة » و « الدولة الصناعية الجديدة » .

وهذا وصفه للاقتصاد الاميركي في كتابه « الدولة الصناعية الجديدة » .

ويقول ان النظام الاقتصادي للولايات المتحدة هو بناء امثل (٩) . ويتحدث عن تركيز الاحتكارات وبلوغ هذا التركيز القمة في الولايات المتحدة بفخر شديد بل ويعتبره هو واحتلال الانتاج الحربي للقسم الاكبر من الانتاج الاميركي على انها بعض مظاهر الاشتراكية !!

---

( ٩ ) The New Industrial state : John kennech Galbraith Panguin books 1970 P13

فالمؤسسات الخمسمائة الكبرى تنتج ما يقرب من نصف البضائع والخدمات سنويا ، وكانت الصناعة في يوم من الايام تعرف بأصحابها كارنيجي وروكفلر وهاريمان وميلون وفورد ، اما اليوم فالرجال الذين يقودون المؤسسات الكبرى لا تعرف اسماؤهم .

وتغيرت علاقة الدولة بالاقتصاد ، فالخدمات التي قدمتها الحكومة الاتحادية وحكومات الولايات تبلغ حوالي نصف او ربع مجموع النشاط الاقتصادي ، وهذه الارقام تفوق نسبتها على حد قوله نصيب الحكومة في بلد مثل الهند تسمى اشتراكية ، وبلغ نصيب النشاط العام الذي يرتبط بالدفاع القومي واكتشاف الفضاء حوالي الثلث او النصف من مجموع هذا النشاط .

وتتدخل الدولة لتنظيم الدخل العام والسيطرة على الاجور والاسعار ، اما الازمات فقد اختفت منذ سنة ١٩٤٧ ، وهو بالطبع لا يستطيع ان يتنبأ بالازمة الحادة التي تأخذ بخناق الاقتصاد الاميركي في السنوات الاخيرة .

ومن ناحية اخرى فقد بدأت النقابات في التراجع والهبوط ، والعضوية فيها تتناقص ، وهو الامر الذي يرتبط بالتغيرات العميقة في النظام الاقتصادي . فمن السمات البارزة ، الانتشار الواسع في التعليم العالي والاهتمام بثقافة الشعب ومستوى كفايته الفنية نتيجة الحاجة الى المهارة ، فالآلات الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة تتطلب الرجال المدربين على أعلى مستوى من الكفاية التقنية للقيادة والتخطيط .

ويعدد عناصر الاشتراكية التي تترتب على التكنولوجيا الحديثة ، فالتكنولوجيا المتقدمة تحتاج الى تمويل ضخم ، وهذا بدوره يؤدي الى قيام المؤسسات العظمى التي يمكن ان تستغل المهارات المطلوبة ، والاستخدام الضخم لرأس المال والتنظيم يتطلب بالضرورة الرؤية البعيدة وحساب توقعات النجاح اي التخطيط .

فالانتاج المتقدم والضخم والدخل المرتفع هما من ثمار التكنولوجيا وكذلك التنظيم الواسع والتخطيط ، وكلها تجلب الرفاهية العامة وتقضي على الفقر . ان المجتمع الفني ، مجتمع الرفاهية ، يدين بدخله وانتاجيته للتنظيم الواسع للمؤسسات ، وبتعبير آخر فان الرفاهية تدين بوجودها للاحتكارات ويقع على الاقتصاد الكبير بعد ذلك ان يفسر اسباب ثورة الشعب الاميركي الراهنة !

والاشتراكية والرأسمالية يلتقيان تماما عنده ، فالانسان لم يعد يخضع للسوق ، بل للتخطيط ، بصرف النظر عن الايديولوجية السائدة (١٠) واصبحت السلطة للمستهلك ، واصبح هو السيد الآمر وهو من خلال السوق يخضع النظام المنتج لامره ويضعه رهن ارادته ، ونتيجة لذلك يحدث الالتقاء العريض بين النظم الصناعية ، فضرورات التكنولوجيا والتنظيم هي التي تحدد كل شيء وليست الايديولوجية هي التي تحدد الشكل الاقتصادي للمجتمع . الضرورات التكنولوجية وليست الايديولوجية هي التي تدفع المؤسسة الى ان تبحث عن معونة الدولة وحمايتها .

والنتيجة التي يخلص منها بعد كل هذا الاستعراض للثورة العلمية والتكنولوجية هي سلطة المثقفين .

ان كل هذه التغيرات تجعل المثقفين هم في مركز البؤرة ، والعدد الاكبر من المثقفين يوجد في الجهاز التعليمي والعلمي ، ومن هنا فلا بد ان نتجه الى حقل العلم والتعليم نبحث عن المبادرة السياسية ، فالمبادرات السياسية لا تأتي من النظام الصناعي ، ولا من الاتحادات النقابية ، فبالاضافة الى هبوط عددها وقوتها ، فهي ليست في الوضع الذي يؤهلها لمناقشة اهداف النظام الصناعي (١١) .

ولذلك لنا ان نقول ان مستقبل ما يسمى بالمجتمع الحديث يتوقف على تولي الجماعة المثقفة عموما والتعليمية والعلمية بوجه خاص مسؤولية العمل السياسي والقيادة .

والقوة المثقفة هي وحدها التي تملك القدرة والقوة على المبادرة السياسية في مجتمع معقد اجتماعيا .

ولكن الايديولوجيات لم تعد هي القوة المسيطرة ، لا هنا ولا هناك ، في النظام السوفياتي والاميركي ، بل ضرورات التنظيم (١٢) .

وفي كتابه « مجتمع الوفرة » يقول : في السنوات المائة الاخيرة ، وفي الفترة الاخيرة بوجه خاص ، زاد حجم الطبقة الجديدة ، ويعني بها طبقة المثقفين ، فنمو هذه الطبقة واتساعها هو الهدف الرئيسي للمجتمع ، ولما كان التعليم هو العامل المحرك في اتساع هذه الطبقة ، فان الاستثمار من التعليم زاد كما وكيفا ، وسيؤدي الى التقدم وهو طريق متسق للتقدم (١٣) .

## العصرية بلا ايديولوجية

ولسنا في حاجة لان نستطرد بعد هذا العرض في كشف مرامي نظريات التكنولوجيا بلا ايديولوجيا، فقد افاض الكتاب التقدميون (١٤) في فضحها . ومحاولات الامبريالية الاميركية لتجميل الوجه القبيح لم تعد تجدي ، ومحاولة تزيين المجتمع الاميركي وتقديمه على انه مجتمع الوفرة والرفاهية ، وطمس الفروق بين الاشتراكية والرأسمالية كلها تفضحها الاحداث الاخيرة بما لا يحتاج الى مزيد . والحلم الذي ظل يعيش عليه العصريون من بلدان العالم الثالث ، ويلهثون وراءه ، حلم مجتمع الوفرة والرفاهية على النمط الاميركي ، يتبدد وتسخر منه الاحداث .

ان التكنولوجيا في ذاتها لا تحدد الوفرة بل زيادة تكثيف العمل والاستغلال في ظل الرأسمال والارباح الجنونية للاحتكارات العظمى ورأسمالية الدولة الاحتكارية . ومن ثم فان التكنولوجيا بطبيعتها لا تقلل الفوارق بين الطبقات بل قد تعمقها ، وهي في ظل النظام الرأسمالي العالمي ، لا تزيد من الهوة بين الطبقات في البلدان الرأسمالية فحسب ، بل وبين البلدان المتقدمة والمتخلفة او بين الريف العالمي كما يسمونه والمدينة . ان كل شيء يتوقف في نهاية الامر على نوع النظام الاجتماعي ، وتخيل التقدم والعصرية والوفرة والرفاهية على انها ثمار مباشرة او طبيعية للعلم والتكنولوجيا بصرف النظر عن النظام الاجتماعي لا يعدو كونه وهم خادع وضار هو شجرة التفاح التي تقود بعض المثقفين الى السقوط ..

## العصرية والديموقراطية

العربة توضع امام الحصان عندما تقدم العصرية على انها

---

( ١٠ ) المرجع السابق ، ص ١٨ .

( ١١ ) المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

( ١٢ ) المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

( ١٣ ) The affluent Society : J k . Galbraith P . 279 Pelican books

( ١٤ ) تراجع مقالات السيد يس : الايديولوجية والتكنولوجيا، مجلة الكاتب ، اغسطس ـ ديسمبر ـ اكتوبر سنة ١٩٦٩ .

المطلب . فالعصرية هي ثمرة التحول الاجتماعي في بلداننا وليست سببه ، ولا يمنع هذا تبادل التأثير بين الطرفين . اما المطلب الملح والعاجل في كل بلداننا العربية ، بل وفي كل بلدان العالم الثالث التي عاشت سجينة القهر الاستعماري ، فهو قبل كل شيء مطلب الديموقراطية ، والديموقراطية الحقيقية ، وهي غير الواجهات المزيفة في بلداننا ، هي ديموقراطية كل الطبقات الوطنية ، وهي طريق التحول ، طريق العصرية . والمثقفون والفنيون والتكنوقراط الذين يروجون عادة لهذا الشعار ، شعار العصرية ، انما يروجون لانفسهم ولسلطانهم وسلطتهم الانانية الضيقة ، لانهم يعلمون انهم اصحاب العلم والمعرفة والتكنولوجيا وحملة المؤهلات ... ومن ثم فهم مؤهلون لقيادة المجتمع العصري .. هذا التفرد في القيادة والسلطة الذي لم يجلب في ركابه عصرية ، ولا تقدما حقيقيا .. بل جلب التفسخ والهزيمة .. وحقيقة الامر ان الذي يملك طريق التقدم والعصرية في بلداننا ، وبلدان العالم الثالث كله ، هي قوى أعرض بكثير وأوسع بكثير ، ولا يمثل المثقفون فيها الا الجزء الاصغر.

ولكن المشكلة هي ان هذه الفئات تبحث عادة وبانانية مفضوحة عن حكم « الصفوة الممتازة » ، هذه الصفوة المعزولة ، والتي لا تصنع لبلادها بعزلتها وتعاليها على الجمهرة العامة من شعوبها الفقيرة الجاهلة والامية ، سوى الخراب والهزائم المدوية . ودون اغراق في النظريات ، وباستقراء أحداث عالمنا القريبة ، لا يصعب ان نرى نتائج حكم « الصفوة » والقلة المثقفة من المهنيين والتيكنوقراط والفنيين في العديد من بلدان آسيا وافريقيا ، وفي بلداننا العربية بالذات .. فقد عبدوا للامبريالية دائما طريقها الملكي لانجاح مؤامراتها ، وتنفيذ انقلاباتها ، والتخلص من الحكومات الوطنية التي كانوا هم سادتها ومهندسوها وحكامها .

ان طريق الصفوة هو طريق العزلة ، وطريق التخلف والهزيمة، بينما الذي يصنع التقدم والنصر في عالمنا هو الجبهات الحقيقية الواسعة والعريضة والتي تضم المثقفين والمهنيين والفنيين الى جوار كل جموع شعوبهم وقواها الوطنية والثورية . وليس في هذا تقليل من دور المثقفين في شيء ، بل القضية هي ان يحتلوا مكانهم الصحيح في اطار تحالف قوى الشعب ووحدة قواه الوطنية والثورية .

والخبرة المستفادة من الصين وكوبا وفيتنام وغيرها ان بلدان العالم الثالث في معركتها الضارية ضد الامبريالية تحتاج الى أمرين لا ينفصلان ، وبنفس الدرجة من الاهمية والحتمية : تحتاج الى الوحدة كما تحتاج الى التنوع ، تحتاج الى الجبهات الوطنية المتحدة ، أيا كانت الصيغ التي تأخذها في التطبيق العملي ، وهي الجبهات التي تحقق استقرارا ضروريا لبلداننا هي لا غنى عنه ، ووحدة تنقذها من التمزق الحزبي المغلق او غيره . هذا جانب ، والجانب الآخر الذي لا يقل الحاحا وحتمية فهو الحاجة في نفس الوقت الى نوع قوى الجبهة ، وحق طبقاتها وفئاتها المطلق ، في التعبير الديموقراطي ، وفي التنظيم المستقل الحزبي وغير الحزبي ، والتمثيل الصادق لمجموعها . هذا شرط قيام هذه الجبهات وتصلب عودها ، وتأكد وحدتها .. وهذه بالتحديد هي الخبرة العملية المستفادة من تاريخ العديد من التنظيمات على الاديم العربي ، مثل الاتحاد الاشتراكي او غيره .

ولكن ضيق الافق الذي ينطوي عليه فلسفة الصفوة ، والذي يمارسه العديد من فئات المثقفين والمهنيين في العديد من بلداننا لا يثمر الا تمزقا وتفوقا ، وتفريخا لمراكز النفوذ يوما بعد يوم .

أما العداء للفكر الماركسي وللشيوعية ، وهو السمة البارزة من سمات هذه الفلسفة ، فليس سوى الغطاء المموه لاخفاء الرغبة في الانفراد والتفرد بالسلطة ، وابعاد الطبقات الحقيقية صاحبة المصلحة الاولى في التقدم وفي العصرية ، وهي الطبقات العاملة والفلاحين .

ان بلداننا تحتاج اول ما تحتاج الى سعة الافق ، ورحابة التفكير من جانب كافة الطبقات الوطنية والثورية .. والمثقفون مدعوون الى التخلي عن التعالي والعزلة وارادة التفرد بالسلطة ، وان يضعوا أيديهم على قدم المساواة بالطبقة العاملة والفلاحين .. ان الجبهة المتحدة التي يقوم اتحادها على ديموقراطيتها ، وعلى الاتحاد الحر بين طبقاتها دون تسلط ، والتي تحتفظ بداخلها الطبقات على حريتها في التنظيم والتعبير والتفكير والحركة .. هي وحدها طريق النصر الشاق في بلداننا ، بل اضحت محك الوطنية الصادقة .. طريق دحر الامبريالية ، وطريق التقدم والعصرية .

القاهرة — اديب ديمتري


صدر اليوم

# المورد الوسيط

قاموس انكليزي - عربي

للطلاب المدارس المتوسطة والثانوية

تأليف

منير البعلبكي

خمسون ألف كلمة انكليزية اختيرت على أساس علمي مدروس بوصفها أكثر الكلمات تداولاً في اللغة الانكليزية ...

شروح مبسطة سهلة المنال تضع بين اليدي طلاب المدارس المتوسطة والثانوية وعامة المثقفين كل ما يحتاجون اليه في دراستهم أو في مطالعاتهم الأدبية والعلمية ...

ضبط لطريقة لفظ كل كلمة انكليزية، ونص على صيغ الجمع غير القياسية وعلى مختلف الأنواع الصرفية لكل مادة، ومجموعة واسعة من العبارات الاصطلاحية (idioms) التي يحار الطلاب في فهم غوامضها ...

مئات الأمثلة النموذجية التي تزيد الشرح وضوحاً ولا تبقي مجالاً لأي لبس أو غموض ...

٦٧٢ صفحة من القطع الكبير • طباعة بالالوان • تجليد فاخر

الثمن ١٠ ل. ل. فقط

دار العلم للملايين